# الإيمان مصدر التّغيير

( خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 3 ربيع الأول 1434هـ الموافق لـ 18 جانفي 2013م )

**الخطبة الأولى:**

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

**" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ "** سورة النّساء.

**" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ "** سورة آل عمران.

**" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ "** سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعةٌ وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ أعاذنا الله من الزَّيْغِ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

# الإيمان مصدر التّغيير

معاشر الإخوة الكرام،

الإنتقال من الإنحراف إلى الإستقامة، ومن الضّلال إلى الهدى، ومن اتّباع الهوى إلى اتّباع الحقّ، من الظّلم إلى العدل، من الخرافة إلى نور الهداية، كلّ ذلك يحتاج إلى الإيمان، الإنتقال من العبوديّة للسّلطان والمال والمادّة والشّهوة إلى التّحرّر من كل ذلك يحتاج إلى الإيمان بالله تعالى والقرب من الرّحمٰن.

ولنقف من خلال هذه الآيات لنرى ماذا يفعل الإيمان حينما يُباشر القلوب ويتخلّل النّفوس.

قال تعالى:

**" وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿ 17 ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿ 18 ﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿ 19 ﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿ 20 ﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿ 21 ﴾ " سورة طه.**

الله جلّ جلاله زوّد نبيّه موسى عليه السّلام بالمعجزات، منها عصاه الّتي تتحوّل إلى حيّةٍ وثعبانٍ عظيمٍ، وكأنّ موسى عليه السّلام استأنس بكلام الله تعالى معه، فقال حين سأله: ( **هي عصاي أتوكّأ عليها، وأهزّ الشّجرة يسقط ورقها لترعاه الغنم** )، ثم زاد فقال: ( **ولي فيها مآرب أخرى** )، كأنّه أراد أن يسأله الله تعالى عن تلك المآرب الأخرى والحاجات الأخرى، فيستأنس موسى عليه السّلام بكلام الله معه، فالمؤمن يستأنس بالقرآن الكريم وسماعه، ويستأنس بسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال تعالى في حقّ المؤمنين:

**" . . . وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ 2 ﴾ "سورة الأنفال.**

أن تحوّل العصا وترجعها إلى أصلها غصنًا هذه معجزة، أن ترجعها غصنًا مثمرًا هذه معجزة لأنّها كانت جمادًا، لكن أن تحوّلها من الجماد ليس إلى أصلها النّباتي بل إلى الحيوان وهو الثّعبان فهذه معجزةٌ كبيرةٌ، تدلّ على عظمة الله تعالى وتدلّ على نبوّة موسى عليه السّلام. فلمّا جاء لقاء السّحرة مع موسى عليه السّلام:

" وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿ 69 ﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿ 70 ﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿ 71 ﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ 72 ﴾ " سورة طه.

عجيبٌ أمر هؤلاء السّحرة لِتوّهِم آمنوا، لكن انظروا ماذا فعل الإيمان بهم، لقد ثبتوا عليه وعرضوا أنفسهم للموت والهلاك، لأنّ الحقّ والهدى والنّور قد ظهر لهم، وأدركوا أنّهم كانوا على ضلالٍ، فلم يعاندوا و لم يستكبروا و لم يلتفتوا إلى الدّنيا، ولا إلى المناصب الّتي اعتلوها عند فرعون، و لم يلتفتوا إلى ما ينتظرهم من تنكيلٍ وقتلٍ على يد فرعون، هؤلاء قد باشر الإيمان قلوبهم واستقرّ الحقّ في عقولهم، فلا يقايضون لا بدنيا ولا حتى بحياةٍ، وهذا هو قمّة الإيمان وكماله.

اليوم كثيرٌ من النّاس، الحقّ والهدى بَيِّنٌ ظاهرٌ لهم، ولكن زخرف الدّنيا يحول دون استقامتهم، أتدرون لماذا؟، لأنّ شجرة إيمانهم ذبلت فما رعوها بالسّقي، وسَقْيُهَا القرآن والصّلاة والذّكر والموعظة.

ليس مطلوبٌ من كثيرٍ من النّاس اليوم أن يقدّموا نفوسهم فداءً وحفاظًا على إيمانهم.

تجد الواحد يتنازل عن مبادئه الإسلاميّة من أجل الحفاظ على منصبه، فيغيّر حتّى اتّجاهه وقناعته.

وآخر من أجل تجارته يتنازل عن مبادئ تحريم التّعامل بالرّشوة.

فهؤلاء إيمانهم مهلهلٌ، إيمانهم غير راسخٍ.

ذكر صاحب منجد الخطيب صورةً لتوبة تائبٍ، قال زاذان الكندي: { **كنت غلامًا حسن الصّوت، جيّد الضّرب بالطّنبور، فكنت مع صاحبٍ لي، وعندنا نبيذٌ وأنا أُغنّيهم، فمرّ ابن مسعودٍ رضي الله عنه، فدخل فضرب الباطيّة** ( إناء الخمر ) **بدّدها وكسر الطّنبور، ثمّ قال: ( لو كان ما يُسْمَعُ من حُسْنِ صَوْتِكَ يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت )، ثمّ مضى، فقلت لأصحابي: ( من هذا؟ )، قالوا: ( هذا ابن مسعود )، فألقى في نفسي التّوبة، فسعيْت أبكي وأخذت بثوبه، فأقبل عليّ فاعتنقني وبكى، وقال: ( مرحبًا بمن أحبّه الله )، ثمّ دخل وأخرج لي تمرًا** }.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

**الخطبة الثّانية:**

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

ثبت في صحيح مسلمٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ( **بادروا بالأعمال فِتَنًا كَقِطَعِ اللّيل المظلم، يصبح الرّجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدّنيا** ).

إنّ جيل الصّحابة حين عمرت قلوبهم بالإيمان ضحّوا بالغالي والنّفيس من أجل الحفاظ على إيمانهم وإسلامهم، في حين ترى اليوم رجلاً من أجل امرأةٍ يترك إسلامه وتقواه وعفافه وطهارته.

واحدةٌ من أجل رجلٍ تترك دينها وحياءها وطهارتها وعفّتها وتبيع دينها.

وأخرى بسبب حسدها تتعامل بالسّحر وتمشي بالنّميمة وتبيع دينها.

وآخر من أجل قطعة أرضٍ أو عقارٍ يُزوّر وثائق ويحرم بذلك الورثة، ولو كانوا إخوته وأخواته، فيبيع آخرته بدنياه.

تمعّنوا معي في قصّة صهيب بن سنان الرّومي رضي الله عنه، لّما امتطى صهيبٌ رضي الله عنه ناقته للهجرة، وانطلق في الصّحراء ليلتحق بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في هجرته، أرسلت قريشٌ في أثره فأدركوه، وحينما رآهم صاح فيهم قائلاً: ( **يا معشر قريش!، لقد علمتم أنّي من أرماكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إليّ حتّى أرمي كلّ سهمٍ معي في كنانتي، ثمّ أضربكم بِسَيْفِي حتّى لا يبقى في يدي منه شيءٌ، فاقدموا إن شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وتتركوني وشأني** ).

ولقد استاموا لأنفسهم، وقبلوا أن يأخذوا ماله قائلين له: ( **أتيتنا صعلوكًا فقيرًا، فكثُر مالُك عندنا، وبلغْتَ بيننا ما بلغْتَ، والآن تنطلق بنفسك وبمالك** )، فدلّهم على المكان الّذي خبّأفيه ثروته وتركوه وشأنه، وقفلوا إلى مكّة راجعين.

وحين أهلّ صهيبٌ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والصّحابة حوله، و لم يكد يراه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم حتّى ناداه متهلّلاً: ( **رَبِحَ البَيْعُ أبا يحيى! . . رَبِحَ البَيْعُ أبا يحيى!** ).

فقد اشترى إيمانه وإسلامه وهجرته إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بثروته الّتي يملكها:

" **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ . . . ﴿ 111 ﴾** " سورة التوبة.

هناك من يشتري إيمانه وإسلامه بثروته ومنصبه.

وهناك من يبيع دينه وإسلامه وإيمانه بمنصبٍ أو تجارةٍ أو مالٍ أو امرأةٍ:

" تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ 134 ﴾ " سورة **البقرة**.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.